

الواحد تلو الآخر إلى أن وصلت إلى شهرزاد. الفرق بين عبارة «بلغني أن» وعبارة «زعموا أن» هو أن شهرزاد تستعمل ضمير المتكلم وتشير إلى أنها آخر حلقة في سلسلة من الرواة، بينما لا يومئ يئديبا إلى الرواة الذين أبلغوه الأمثال التي يقدمها إلى ملك الهند. فكان الأمثال لا تكتفي باختراع نفسها، بل تستغني أيضاً عن كل وسيلة للوصول إلى يئديبا.

في كليلة ودمنة تستعمل الحيوانات الحيلة لقضاء مآربها. كذلك الحكماء يصوغون الحيل من أجل القيام بدورهم التعليمي، وأعظم حيلهم تأثيراً في النفوس وضع الأمثال على ألسنة الحيوانات. ذلك أنهم لا يخاطبون العقلاء فقط، وإنما السخفاء كذلك. لو كانوا لا يخاطبون إلا العقلاء لما احتاجوا إلى صياغة الحكايات ولتكلموا عن أغراضهم مباشرة. لكنهم يعرفون أن جمهورهم يتكون في أغلبه من أصحاب العقول السخيفة الذين لا يستطيعون الاستفادة من الحكمة إذا هي عرضت عليهم بصفة مباشرة. يقول ابن المقفع في المقدمة: «وقد جمع هذا الكتاب لهواً وحكمة، فاجتباة الحكماء لحكمته، والسخفاء للهوه. فأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشيطوا لعلهم وخف عليهم حفظه»⁽⁵⁾ لابدء والحالة هذه أن تعرض الحكمة في ثوب جذاب، أن تغلف في غلاف ملون يسترعي الانتباه.

اللجوء إلى السرد فرضته ضرورة تعليمية. فبما أن السخفاء بحاجة إلى التعليم، وبما أن التعليم لا يكون فعالاً إذا اكتفى بمخاطبة عقولهم، فلا مندوحة من الاستعانة باللهو، أي بالسرد. لا مندوحة من اللجوء إلى الغرابة، وأية غرابة أقوى. من جعل الحكمة والكلام البليغ على ألسنة البهائم والطير؟ الغرابة هي ما يخالف العادة، وفي هذه المخالفة يكمن سر انجذاب السخفاء إلى مضمون الكتاب، فيقبلون الحكمة وهم لا يشعرون. اللهو إذن وسيلة يقصد بها تعليم الحكمة. في قرارة نفسه يحتقر الحكيم هذه الوسيلة، ولكنه لا يستطيع أن يستغني عنها إذ

(5) ابن المقفع، ص. 51.